خطبة صلاة الجمعة 17/6/2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(أثر العمل الصالح في دفع البلاء)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77].

وقال سبحانه: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: 11].

أخرج الإمام مالك في الموطأ: «بلغه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يَدعو: اللَّهمَّ إِني أَسألك فعلَ الخيراتِ، وترك المنكراتِ، وحُبَّ المساكين، وإذا أردت بقومٍ فِتنَة فَاقبِضْني إليك غير مفتون».

وأخرج البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**على كل مسلم صدقة**» قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق**» قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يعين ذا الحاجة الملهوف**» قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يأمر بالمعروف أو الخير**» قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «**يمسك عن الشر فإنها صدقة**».

عنوان الخطبة: **أثر العمل الصالح في دفع البلاء**

أيها الاخوة:

تجدون في نصوص الشريعة دعوةً عريضة إلى العمل الصالح، فالإيمان يربي أتباعه على بذل المعروف وفعل الخير طيلة حياتهم، ويرد في القرآن الكريم أزيد من خمسين مرة مصطلح: (آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ):

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1-3].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: 107].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: 29].

وهكذا تجدون العمل الصالح وفعل الخير منثوراً في القرآن الكريم، ليتحول إلى منهاج حياة المؤمن.

وكما تقرؤون في نصوص الشريعة دعوةً عريضة إلى العمل الصالح، تقرؤون فيها أثر العمل الصالح في رفع البلاء.

وإليكم بعض الفوائد والنصوص التي تشير إلى أثر العمل الصالح في رفع البلاء:

الفائدة الأولى: العمل الصالح موجب للرحمة وموجب للحياة الطيبة:

أخرج الحاكم في مستدركه عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من موجبات الرحمة إطعام المسلم المسكين**» فإطعام الطعام وهو عمل صالح يستوجب به فاعله الرحمة كما يقول الحديث، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97] قال المفسرون: (العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال، فقد تكون به، وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية: فيها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت وموّدات القلوب، وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة... وليس المال إلا عنصراً واحداً يكفي منه القليل، حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله).

جاء في تفسير الكشاف في بيان كيف تكون الحياة الطيبة: (وذلك أنّ المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً؛ إن كان موسراً، فلا مقال فيه، وإن كان معسراً، فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله، وأمّا الفاجر فأمره على العكس: إن كان معسراً فلا إشكال في أمره، وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه).

فهذه النصوص وغيرها تدل على أن العمل الصالح موجب للرحمة وموجب للحياة الطيبة.

الفائدة الثانية: العمل الصالح دافع للمكروه من مرض ونحوه:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 277].

أخرج ابن ابي الدنيا بإسناده: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل معروف صدقة والمعروف يقي سبعين نوعا من البلاء ويقي ميتة السوء**» وفي رواية: «**يقي مصارع السوء**».

عن علي بن الحسن بن شقيق قال سمعت ابن المبارك وسأله رجل يا أبا عبد الرحمن قرحة خرجت في ركبتي منذ سبع سنين وقد عالجت بأنواع العلاج وسألت الأطباء فلم أنتفع به قال اذهب فانظر موضعاً يحتاج الناس الماء فاحفر هناك بئراً فإني أرجو أن تنبع هناك عين ويمسك عنك الدم ففعل الرجل فبرأ. (رواه البيهقي) وقال: وفي هذا المعنى حكاية شيخنا الحاكم أبي عبد الله رحمه الله فإنه قرح وجهه وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب وبقي فيه قريباً من سنة، فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة فدعا له وأكثر الناس التأمين، فلما كان يوم الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها عادت إلى بيتها واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة فرأت في منامها رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يقول لها: قولي لأبي عبد الله يوسع الماء على المسلمين، فجئت بالرقعة إلى الحاكم فأمر بسقاية بنيت على باب داره وحين فرغوا من بنائها أمر بصب الماء فيها وطرح الجمد في الماء وأخذ الناس في الشرب فما مر عليه أسبوع حتى ظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان وعاش بعد ذلك سنين.

أخرج ابن ابي الدنيا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**عليكم باصطناع المعروف فإنه يقي مصارع السوء وعليكم بصدقة السر فإنها تطفئ غضب الله عز وجل**».

أخرج أبو داوود والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة**».

فهذه النصوص والآثار تدل على أن العمل الصالح دافع للمكروه من مرض ونحوه.

الفائدة الثالثة: العمل الصالح يحيي الأرض وأهلها من بعد جدب وقحط:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل جعل للمعروف وجوهاً من خلقه، حبّب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله، ووجه طلاب المعروف إليهم، ويسر عليهم إعطاءه كما يسر الغيث إلى الأرض الجدبة ليحييها ويحيي بها أهلها، وإن الله جل ذكره جعل للمعروف**

أعداء من خلقه بغض إليهم المعروف وبغض إليهم فعاله، وحظر عليهم إعطاءه كما يحظر الغيث عن الأرض الجدبة ليهلكها ويهلك بها أهلها وما يعفو أكثر» (الدارقطني).

فالحديث يشير إلى أنّ العمل الصالح يحيي الأرض وأهلها من بعد ضيق وكرب كما يحيي الغيث الأرض من بعد قحط وجدب.

الفائدة الرابعة: العمل الصالح يعود على صاحبه بمثله وأكثر:

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«مَن نَفَّسَ عن مؤمن كُرْبة من كُرَب الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على مُعْسِر، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسلِما سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ، واللهُ في عَونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عَونِ أَخيهِ»**.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«من سره أن تنفس كربته وأن تستجاب دعوته فلييسر على معسر أو ليضع له فإن الله يحب إغاثة اللهفان»** (الترغيب والترهيب).

فهذان نصان ومثلهما كثير في القرآن والسنة تشير إلى أن الجزاء من جنس العمل، وأن خير العمل الصالح عائد على فاعله كما هو واصل للمبذول له، فمن عمل صالحا فلنفسه، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، وجزاء الإحسان إحسان.

الفائدة الخامسة: العمل الصالح سبب لإجابة الدعاء:

أخرج الامام أحمد عن ابن عمر، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من أراد أن تستجاب دعوته، وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر»**.

ومعلوم عندكم حديث الصحيحين في الثلاثة الذين آواهم المبيتُ إلى غار، فدخلوه، فانحدرتْ صَخرَة من الجبل، فسَدت عليهم الغارَ، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعُوا الله بصالح أعمالكم، فدعا كل منهم بعمل صالح عمله فكانت الصخرة تتحرك عند كل دعاء حتى انفرجت الصخرة وخرجوا يمشون.

فالعمل الصالح سبب لإجابة الدعاء وفي هذا نصوص كثيرة.

أيها الاخوة:

هذه خمس فوائد تشير بمجموعها إلى أثر العمل الصالح في رفع البلاء؛ فالعمل الصالح موجب للرحمة ودافع للمكروه من مرض ونحوه، والعمل الصالح يحيي الارض وأهلها من بعد جدب وقحط، ويعود على صاحبه بمثله وأكثر، والعمل الصالح سبب في إجابة الدعاء.

والحاصل من هذا الكلام أن يجتهد كل منا فيما يستطيع من العمل الصالح متقرباً به إلى الله تعالى راجياً رفع البلاء عن العباد والبلاد.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77].

والحمد لله رب العالمين